فى الدين

من آى الذكر الحكيم

للأستاذ العلامة الشيخ طنطاوى جوهرى

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء » أى المطر « فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » أجناسها من الرمان والتفاح وما أشبهها ، ومعلوم أن أصنافها كثيرة وألوانها كالحمرة والصفرة والخضرة الخ « ومن الجبال جدد بيض وحمر » أى طرقا مختلفة اللون جمع جدة كمدة ومدد (مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) أى شديدة السواد كما يقال (أسود غربيب) تشبيها بلون الغراب وكأنه قيل : ومن الجبال ذو طرق مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون ، وغرابيب تأكيد لسود ومن حقه أن يتبع المؤكد ولكن أضمر المؤكد بالفتح قبله والذى بعده تفسير للمضمر كأنه قيل : وسود غرابيب سود وذلك لزيادة التأكيد بالإضمار تارة والإظهار أخرى « ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك » كاختلاف الثمار والجبال ، يشير ذلك إلى دراسة الجبال والثمار والناس والدواب والأنعام من حيث ألوانها وهيئاتها وأشكالها واختلافها صغرا وكبرا وطعوما وروائح وخواص وتراكيب ونظما وشكلا من مدور وأسطوانى وهرمى ومخروطى وطبا وغذاء ودواء وفاكهة حلوة وزيتية وعطرية وسمية ومائية وحمضية وغير ذلك مما تراه واضحا فى كتابنا « الجواهر فى تفسير القرآن » ومما لا حصر له فى العلوم التى دونها الأولون والآخرون ، ولو أنك نظرت إلى لون واحد من الألوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات نباتا نباتا لم تجد نباتين يتفقان فى لون الخضرة ، قف بالحقول وفتش على ما فيها من زرع وشجر زرعه الإنسان أو أنبته الله رغما منه ، وانظر هل تجد خضرة مماثلة لخضرة ؟ كلا ! وإذا أحصى العلماء أنواع النبات بنحو (٣٢٠) ألفا فلست تجد اثنين اتفقا خضرة ! وقس على ذلك الأشكال والطعوم والروائح ، قف بالحقول واقرأ كتاب الله الذى سطره فى أرضه ، هناك

تقرأ آيات السماء والجد مجسمة ظاهرة لعينك وقلبك ، على ذلك يحضك القرآن ، انظر كيف يقول : — « ألم تر أن الله أنزل من السماء » — كأنه ينكر علينا ألا نرى ذلك ، إن ذلك يفتح باب الفكر ومتى فتح هذا الباب دخلت منه العلوم فمن هذا الباب تكون العلوم ، ويتفرع (فرعان) فرع لرقى الأمم ، وفرع لرقى العقول . وهما متحازيان ، فالعمارة يتبع نطاقها ، والأرواح تريد أجنحتها إلى المقام الأعلى وتلحق بعالم الملائكة ، وإلا فلماذا خلقنا الله فى الأرض ، ولماذا نوع هذه الأنواع وشكل هذه الأشكال ؟

ياعجبا ! إنك يا الله خلقت النبات وأرحته من العناء وأنزلت عليه الماء وفتحت له الأنابيب الشعرية يتمتع كما يشاء من خصب الأرض وعناصرها فيصطفى ما يشاء ويختار ، وخلقت الحيوان وأغدقت عليه النعم وكسوته بالريش والجلد الغليظ والوبر والشعر والصوف ومددت له موائد الرزق وبسطت له بساط الأمن ورغد العيش وفيأته فى ظلال أشجارك وأسكنته فى كهوف جبالك وهيأت له فى أشجارك مساكن وعلمته بلا معلمين وربيته بلا مربين . فلا يحتاج لنبى يرسل له ولا مدارس تفتح إليه ولا كليات لتخرج المعلمين ولا وزارة لسير التعليم . فهو فى رغد من العيش فى جناتك الفسيحات فى أرضك . هذا يا الله فعلك مع هذه المخلوقات . أما الإنسان فإنه حرم من تلك النعمة نعمة الاكتفاء بما نفحت من الطبيعة . فأرسلت له المرسلين وكونت له المعلمين وخلقت له المدرسين وأنزلت المرض والهموم بساحاته وفتحت له باب البحث ليخرج من ظلماته ويستعد لسعاداته ونوعت له الأنواع وحسنت له الأشكال ووازنت بين حاجاته النفسية والمخلوقات الأرضية بحيث جعلت لكل داء دواء ولكل حاسة مطلوبا ولكل شهوة ما يناسبها وأتعبته وأنصبته . هل كل هذا لهوانه عليك ؟ كلا . ثم كلا . إنك يا الله فعلت ذلك به لأنه أكرم عليك من أخويه الحيوان والنبات ، تريد أن يرقى نفسه الأرضية لتطير بأجنحة معارفها إلى ساحاتك العلوية ، ويقتبس من مخازن علومها وخزائن حكمها وجواهر بحورها ما ينفعه فى سفرته المترامية الأكناف البعيدة المطاف .

لهذا وحده أنزلت الديانات ، ولهذا وحده خلق الناس ، ولهذا وحده جاء القرآن ، ولهذا كانت فلسفة الأولين وحكمة الآخرين ، ولهذا سيعلو من بعدنا من المسلمين إذا قرأوا هذا وأمثاله من تصنيف علماء المسلمين ، ذلك هو باب المحبة والعشق إذ لا محبة إلا بعلم بصفات المحبوب ، ولا علم عند الناس إلا ما وصل إليهم من مصنفاته البهية وحكمه العلية وبدائعه البهجة ، وكلما ازداد المرء نظرا زاد قلبه ولها وحبا ، والحب يخشى المحبوب ويهابه ، والخشية على مقدار الكمال ، فالحب والخشية متلازمان ، وكيف يحب الإنسان ما لا

فى نظره ؟ وارتقاء المحبة يتبعها ارتقاء الخشية . ألا ترى أنك كلما ازددت من علم عالم أحسست بروحانية تجذبك إليه وخشية تشاك منه ، وهذا قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) * قال علماؤنا رحمهم الله : « إن شرط الخشية معرفة المخشى بالعلم بصفاته وأفعاله ، فمن كان أعلم به كان أخشى منه » ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « إنى أخشاكم لله وأتقاكم له » .

أليس المسلمون بغفلتهم عن هذه العلوم أضاعوا أعظم قسط من الدين ؟ ألم يسلب الله منهم الملك ويعطيه لغيرهم ؟ ذلك لأنهم لم يدرسوا نظامه الموجب للخشية كما يوجب الحب إن الآية دالة على أنه لا يخشى الله إلا العلماء فهم وحدهم المختصون بالخشية . فهل لك أيها الذكى القارىء لهذا التفسير أن تحث المسلمين وتحض الموحدين على التفكر والنظر . قل للعلماء اقرأوا سائر علوم الطبيعة والفلك . وقل للجهلاء فكروا فى كل جبل وشجر وزرع وتأملوا واذكروا الله على مقدار طاقتكم ، وقل لعلماء الدين فليغرسوا فى عقول التلاميذ فى إبان صغرهم تلك المحاسن والبدائع . وليبينوا لهم بعض العجائب الغريبة التى يحدث فى نفوس الجهلة وصغار الطلبة تعجبا ، فأن ذلك يفتح لهم باب الفكر . إن ذلك هو علم التوحيد . إن ذلك هو علم الدين . إن ذلك هو حب الله . إن ذلك هو الموصل له . إن ذلك هو المرقى للأمم . حب الله وخشيته وارتقاء الأمم فى الدنيا وعلو درجاتهم فى الجنة ووصولهم إلى رؤية الله تعالى ، وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم . كل ذلك بهذه العلوم فليقلب التعليم فى الاسلام شرقا وغربا ، وليغير منهج الدراسة ، وليعلم المسلمون أنهم لا سعادة لهم فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا بما ذكرناه فقد أنذرت وحذرت ، فليستمع المفكرون ولينصح الناصحون وحسبنا الله ونعم الوكيل . الله أكبر قد شاعت الفكرة فى الأزهر وفى بلاد الاسلام وسيتم ما أملنا ، فلك الحمد يا الله .

ولما كان فى الناس من لا يأبه بهذه العوالم ولا يفكر فيها فقلت خشيته الله ودام على ذلك ، ومنهم من تاب ورجع فكر بعد الغفلة أعقبه بقوله (إن الله عزيز) فى ملكه وسلطانه يقهر من لا يخشى الله لغفلته عن عظمته (غفور) لمن تاب وخشى الله بعد الغفلة ، وذلك فتح لباب الرجاء . فنحن معاشر المسلمين إذا كنا قرطنا فى معرفة هذه العوالم فيما مضى ، فالله وعدنا بالغفران وهو يقبل التائبين . ولما كان المقصود من نزول القرآن وإظهار هذه العجائب إنما هو الأمة الاسلامية أردفه سبحانه بالكلام على درجات العاملين فيها فقال : (إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون على قراءته مع التفكير المقصود منه ويدرسون هذه العوالم المذكورة قبل هذه الآية دراسة تشمل العالم كله من سموات وأرضين وجبال

وزروع « وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا » فى المسنونة «وعلانية » فى المفروضة « يرجون تجارة » رأس مالها وأثمانها النفوس والأموال فالنفوس للعلوم والتفكر والصلاة، والأموال للأنفاق والثمن المبيع هو الثواب والجنة والقرب إلى الله تعالى فهى تجارة « لن تبور » لن تكسد ولن تهلك بالخسران ، وهى تنفق وتروج عند الله « ليوفيهم أجورهم » أى أجور أعمالهم « ويزيدهم من فضله » على ما يقابل أعمالهم « إنه غفور » لفرطاتهم « شكور » لطاعاتهم أى يجازيهم عليها وللآية وجه آخر وهو الأظهر . ذلك أن يكون التالون لكتاب الله المصلون المنفقون هم الصالحون ودرجتهم أقل من العلماء المذكورين قبلهم .

(يتبع) طنطاوى جوهرى

فى التوحيد

رؤية الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى »

طلب موسى عليه السلام رؤية ربه لعلمه بجواز رؤية الله سبحانه وتعالى ثم إنه طلبها زيادة فى العلم ورؤية ما عسى أن يسأله فيه قومه فيكون على بينة منه ، وقد حصل فقد سألوه أن يريهم الله جهرة فسؤاله كان على سبيل العلم كما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال تعالى (وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي الخ » ويصح أن يكون طلبه هذا ليبكتهم ويبين لهم خطأهم . أخذت المعتزلة بظاهر الآية وقالوا هذا دليل على استحالة رؤية الله تعالى فإن (لن) تفيد النفى على التأبيد وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل وقت التجلى عليه ومحال أن يستقر وقت دكه إذاً محال رؤيته سبحانه وتعالى

كيف وهى (أى الرؤية) إدراك ببعض الحواس فى جهة معينة تحد المرئى وهذا يستحيل على الله كما يستحيل عليه الولد ، وقد قالوا أيضاً ومما يؤيد كلامنا هذا قول الله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »

ولكن اهل السنة تصدوا لهم وقالوا المعروف عند علماء العربية أن (لن) تفيد النفي مع التأبيد خلافا للزمخشري والدليل على ذلك فى قوله تعالى (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) وقوله (لن تخرجوا معي أبدا) فان الايمان جائز عقلا كذا الخروج . فالرؤية جائزة عقلا أيضا

والمعلق عليه إنما هو استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك من الجائز . وتعلق العلم بأنه لا يستقر لا يرفع إمكان استقراره وعلى ذلك تكون الآية مؤيدة قول أهل السنة القائلين بجواز الرؤية لأن طلب الأنبياء المستحيل من الله محال . ولذا قال الله تعالى لن تراني) ولم يقل (لن أرى) تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائي لم يوجد بعد وعلى ذلك تكون (لن تراني) دليل على صحة كلام أهل السنة وهو جواز الرؤية

ثم لو كانت الرؤية تتعلق على جهة المرئي لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا شك فى أنه سبحانه وتعالى يعرف لا فى جهة فكذلك يرى لا فى جهة

ثم قند أهل السنة الحجة التي أخذ بها المعتزلة وهي قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) فقالوا لا نقول إن الادراك بالبصر هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة وقد تكون الآية دليلا على جواز الرؤية لأنها لو امتنعت ما حصل المدح بها كالمعدوم وانما المدح فى أنه تمكن رؤيته ولا يرى لتعزز والاحتجاب بحجاب العظمة والكبرياء

وفى القرآن الكريم (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال عليه الصلاة والسلام إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وقد فسر المعتزلة هذا بقولهم (إنكم سترون رحمة ربكم) فالرؤية جائزة عقلا دنيا وأخرى وواجبة شرعا فى الآخرة اتفق على ذلك أهل السنة

وقد قال العلماء إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الاسراء وكانت الرؤية بعينى رأسه وهما فى محلها خلافا لمن قال أنهما حولتا إلى قلبه مستندا إلى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) ولكن ذكر الله بعد ذلك (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولم يره أحد فى الدنيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم

وقد نفت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وقوعها فى الدنيا ولكن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان براه فى كل مرة من مرات المراجعة

يقال إنه يرى بالحدقة كما هو الأصل فى الرؤية لكن لا فى مكان ولا جهة ولا مسافة لأن قياس الغائب على الشاهد فاسد وربما رد على هذا التعليل رؤية الحدقة وقيل يرى بجميع الوجه لقوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ولكنا نقول إن رؤية

لوجه مجاز والأفضل تفويض أمر الرؤية إلى الله سبحانه وتعالى لأنها غيب (قل كل من عند الله) يرى الله سبحانه وتعالى المؤمنون والمؤمنات كذا الملائكة وقيل لا يراه من الملائكة غير جبريل عليه السلام ثم يراه المؤمنون من الأمم السالفة وقيل أهل الفترة أيضاً إن صح أنهم ناجون من النار ثم المؤمنون من الجن ولا يراه الحيوانات ولا الكفار والمنافقون لقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

يراه أهل الجنة يعرفون منها أن هذا الموعد كان يوم عيد أو يوم جمعة أو وقت الصلاة كل على حسب درجته فى الجنة وخص الله سبحانه وتعالى بعضا من الخلق بمشاهدته على الدوام هؤلاء هم الذين ختم الله لهم بالحسنى وزيادة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

طه محمد خليل

مدرس بمدرسة الدوية — ببنى سويف

الانسان ومبدأ العقيدة

١

الاعتراف بوجود قوة عليا تسيطر على هذه العوالم الكونية فطرة فطر الله الناس عليها من مبدأ الدنيا . غير أنها كانت على صور وأشكال شتى تتباين فى الأصول والطقوس .

رمز إليها بعض الناس برموز تخيلوا عظمتها ورفعة مقدارها كالكواكب والأنهار مثلا واعتقد البعض باتحادها فى أجسام بعض الحيوان كالعجول والقطاط والجعارين (١) وما أشبه ذلك ونحت لها البعض الآخر الصور والتماثيل وقربوا لها القرابين وبالغوا فى عبادتها وتعظيمها .

وما زالت هذه العقيدة تتغير وتتبدل من حسن إلى أحسن تبعا لسنة التطور والارتقاء ومن سىء إلى أسوأ تبعا لحالة الفكر والبيئة التى تنمو فيها .

وما زالت على هذا النمط حتى أخذ الفلاسفة والمشترعون فى الأمم القديمة المختلفة كالهند والصين والفرس ومصر يدخلون إليها تعديلات وتحسينات رأوا صلاحيتها إلى المجموع وحالتهم . وما زالت كذلك حتى ظهر الفلاسفة اليونانيون فنهضوا بالعقيدة إلى

---

(١) الجعارين – منه الجعل وهو دويبة أرضية

الذروة اللائقة بها . فطهروها من دنس الخرافات والخزعبلات واعترفوا بوجود إله أعظم خالق لهذا الكون ومدبر ومنظم لما فيه من شئون .

قد يتسرب إلى أذهان كثير من الناس أن ذلك المجهود وليد أفكار الفلاسفة اليونانيين والحقيقة أنهم أخذوا ذلك عن المصريين القدامى حينما وفد أولئك الفلاسفة إلى مصر طلابا . فارتضعوا من لبان علومها ومعارفها — ولما عادوا إلى بلادهم أخذوا ينشرون خلاصة هذه الآراء وهاتيك الأفكار .

ولكن نبأ ذلك لم يصل إلينا ! !

ذلك لأن الكهنة المصريين كانوا يجعلون معارفهم وتعاليمهم الدينية وقفا على أبنائهم يورثونها بطريقة التلقين إلى ذراريهم من بعدهم وما زالت فى صدورهم حتى ذهبوا بها إلى باطن الأرض وإذا بها قد أمحت بذهابهم ودرست من الأرض بزوالهم .

ثم لما أصبح الفكر الإنسانى قادرا على الأخذ بتعاليم أرقى مما كانت بالنسبة لنضوجه قليلا . وبالنسبة أيضاً لتوفر كثير من أسباب المعيشة له . أنزل الله شريعته السمحة الطاهرة على نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام . المنوه لنا بصحف إبراهيم والتى قال تعالى فيها (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) نزلت هذه الشريعة على حالة تناسب العقول والأفكار حينذاك ولما ارتقت العقول نوعا ما أنزل الله الزبور على لسان سيدنا داود عليه السلام ثم تلته شريعة موسى ثم عيسى ثم الاسلام على يد خاتم أنبيائه سيدنا محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

وهكذا كان شأن ربك ينزل الشرائع تبعا لحالة الأفكار والعقول — كلما ارتقت قليلا أنزل إليها شريعة تناسبها .

وكان ختام ذلك كله الاسلام . ذلك الدين الحنيف الذى سترى فيما بعد أنه أنزل صالحا لجميع الأزمنة والأمكنة ملبيًا لحاجات العقول ومقتضيات المدنية متمشيا مع الزمن حيثما مشى ودار وسنريك فيما بعد من ذلك الشىء الكثير ؟

أحمد حسنى الشريف
من كتاب الأديان تأليف حضرته